

100) ويقولون لكف الانسان الى معصمه يد  
واليد اسم جامع للاصابع والكف والذراع والمفرد  
( ص 301 ) .

ومن هذه الامثلة المائة يتضح أن عامية المغرب  
اقرب الى الفصحى من عامية الاندلس : واحد وثلاثين  
في المائة (حيث أن 31 كلمة مشتركة من بين مائة تتخذ  
في المغرب بنية عربية فصيحة في حين أن المائة كلمة  
الاندلسية كلها بعيدة عن الفصحى )

97) ويقولون لجمع الماء مياة بالتاء ..  
والصواب أمواه للجمع الأقل ومياه للكثير (ص 298) .  
( مياه في المغرب ) .

98) ويقولون امرأة نفيسة .. والصواب نفساء  
(ص 298) .

99) ويقولون لبيت الطعام هري ( بكسر الراء)  
.. والصواب هري ( بتسكينها ) ( ص 299 ) .

# مَسْرُورَاتُ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ

الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطئ » القاهرة

فيما اشتغل به على المدى الطويل من دراسة البيان القرآني ، أدركت أننا سنظل محجوبين من أسرار لغتنا ، إذا لم نعد فنجتليها في القرآن الكريم ، معجزة النبي العربي ، وكتاب العربية الأكبر .

وذكرت أننا مضينا على أن نختار لابنائنا النماذج العليا من دواوين الشعراء ونثر الكتاب . وتخصي دراستهم للعربية وأدبها ، بمعزل عن هذا الكتاب المحكم المبين ، الذي يجلو ذوتها الأصل المرهف ، في ذروة نغائه وأعجاز بيانه .

وإذ أخضع في مهمل لبیان القرآن ودلالات الفاظه ، للمنهج الدقيق الذي تلعبته من « استاذنا أمين الخولي » في استقراء الاستعمال القرآني لكل لفظ أو عبارة ، وتدبر سياقاتها الخاص في الآية والسورة ، والسباق العام في الكتاب كله ، بدأ لي بعد طول التدبر والتأمل ، أنه حيثما يحشد المسرون مدة الفاظ في تفسير لفظ قرآني ، يبييني أن أضغ لفظا منها في موضع اللفظ الذي نزل به الكتاب المحكم ، دون أن يضيغ سر الكلمة .

وما من هرف تألوله زائدا أو قدره محذوفا ، يمكن أن تقوم العبارة على التاويل بزيادته أو حذفه .

ولفتني هذا إلى أسرار للعربية احتجبت منا ، لطول ما اختلطت الدلالة القرآنية بالدلالات المجبية ، ولطول ما احتكمت قواعد الصنعة الامرابية والمنطق البلاغي المدرسي ، في توجيه النص الأعلى الذي ينبغي أن تعرض عليه كل قواعد النحاة واللغويين والبلاغيين .

ولا يتسع المجال المحدود هنا لعرض كل ما اجتليت من هذه الأسرار التي حجبت منا ، وإنما حسبني أن أقدم منها المثل والشاهد ، في سر البيان في الحرف لا يفتني منه سواه وفي الكلمة لا يقوم مقامها غيرها من حشد الالفاظ المقول بترادفها ، وفي التعبير يتهدى كل محاولة لتاويله على غير ما جاء به في البيان المعجز :

« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

## سر الحرف

ما من حرف في القرآن الكريم ،  
تأولوه زائدا أو قدروه محذوفا أو  
فسروه بحرف آخر ، إلا ويتحدى  
بسرّه اللباني كل محاولة لتأويله  
على غير الوجه الذي جاء به في  
البيان الممجز .

\*

من سر الحرف ، أتمد هنا شواهد من حروف  
قرآنية ، مفردة ومركبة ، حاول المفسرون في تأويلها  
أن يعدلوا بها على وجه التقدير والتأويل ، عن نظمها  
الذي جاءت به في البيان الأعلى ، لكي تلبى مقتضيات  
الصنعة الاعرابية أو أحكام الصنعة البلاغية .

وبقيت هذه الحروف ، تتحدى كل محاولة لتغيير  
أو تقدير بحذف وزيادة .

ولناخذ مثلا ، حرف الباء في مثل قوله تعالى :  
« وما ربك بغافل عما تعملون »  
« لست عليهم بمسيطر »

جرى النحاة والمفسرون على القول بأن هذه  
الباء زائدة في خبر « ما » و « ليس » لا يمتنون بزيادتها أنها  
جاءت عبثا أو لغوا ، وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد .

وتد جاء « ابن هشام » بهذه الباء الزائدة في  
الخبر ، مع خمسة مواضع أخرى لزيادة الباء .  
وأدرجها جميعا تحت حكم عام ، هو معنى التأكيد  
المستفاد من الباء الزائدة (1) .

ومع قولهم أن هذه الباء الزائدة في الخبر ،  
للتأكيد ، جرت الصنعة الاعرابية على تصر عملها على  
الشكل لا المعنى . فهي تعمل في ظاهر لفظ الخبر  
ويبقى الحكم الاعرابي على أصله ، منصوبا بفتحة  
مقدرة على آخر الخبر ، منع من ظهورها اشتغال  
المحل بحركة حرف الجر الزائد .

ونردد نحن هذا الحكم التقليدي جيلا بعد جيل .  
ويتلقاه الطلاب جميعا تلقينا لا يملكون إلا أن يحفظوه .

دون أن نتردد في قبول القول بزيادة الباء وتد  
صار من القولات البديهية التي نقولها على وجه  
الضرورة والالزام .

وباستتراء ما في القرآن من خبر « ما ، وليس »  
تلقنا ظاهرة مجيء هذه الباء المقول بزيادتها ، في  
خبرها المفرد الصريح غير المؤول .

فخبر ليس ، تلزمه الباء في ثلاث وعشرين آية ،  
ولا تتخلف إلا في ثلاث آيات نعرض لها بعد حين .

وخبر « ما » النافية تلزمه الباء أيضا ، لا تتخلف  
فيها أذكر إلا في بعض آيات لها سياقتها الخاص نتدبره  
بعد حين في موضعه .

وإنما يطرد استغناء الخبر عن الباء ، إذا كانت  
« ما » النافية ، متلوة بالفعل كان ، فينصب الخبر به  
صريحا مفردا غير مقترن بالباء ، في مثل آيات :  
البقرة 16 :

« وما كانوا مهتدين »

ومعها آيتا : الانعام 144 ، يونس 45  
آل عمران 67 :

« ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا »

الاعراف 7 :

« فلننقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين »  
الأنفال 33

« وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »  
الاسراء 15 :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »  
الاسراء 20 :

« وما كان عطاء ربك محظورا »  
يوسف 111 :

« ما كان حديثا يفترى »  
الكهف 51 :

« وما كنت متخذ المضلين عضدا »  
مريم 64 :

« وما كان ربك نسيا »  
الشعراء 8 :

« وما كان أكثرهم مؤمنين »

+ 67 ، 103 ، 121 ، 139 ، 158 ، 174 ،  
190 .

(1) معنى اللبيب : ج 1 من 91 ، الجمالية بالقاهرة 1329 .

الشعراء 209 :  
كما تحتل تأكيد النبي في بعض الآيات ، تحتل نقض  
النبي في آيات أخرى .

فاننظر اذن في كل الآيات التي يقترن خبر ( ما  
وليس ) فيها بالباء ، مقارنة بالآيات التي أستغنى  
الخبر عن الباء ، لعل الاستقراء يهديننا الى خطة  
بيانية من أسرار العربية .

ونبدأ بخبر « ما » غير المتلوة بالفعل كان ،  
فمراها قد لزمته اطرادا في آيات :

البقرة 8 :

« ومن الناس من يقول آمنا بالله واليوم الآخر  
وما هم بمؤمنين » .

البقرة 74 :

« وما الله بغافل عما تعملون » —  
« يعملون » معها آيات : البقرة 85 ، 140 ،  
144 ، 149 ، وآل عمران 99 .

الانعام 132 :

« وما ربك بغافل عما يعملون » — تعملون  
— معها آيات : هود 123 ، النمل 93 .

الانعام 107 :

« وما جملناك عليهم حيننا وما انت عليهم  
بوكيل » معها : الشورى 6 .

البقرة 96 :

« يود احدكم لو يامر الف سنة وما هو  
بمزهزجه من العذاب ان يامر »

البقرة 102 :

« وما هم بضارين به من احد الا باذن الله .

ق 29 :

« ما يبذل القول لدي وما انا بغلام للمبيد »  
معها : فصلت 46 .

البقرة 167 :

« كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما  
هم بخارجين من النار »

الشعراء 209 :

« ذكرى وما كنا ظالمين »

النمل 32 :

« ما كنت تاطعة امرا حتى تشهدون »

القصص 45 :

« وما كنت ثاويا في اهل مدين »

القصص 59 :

« وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها  
رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا  
واهلها ظالمون »

الاحزاب 40 :

« ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول  
الله » .

الانعام 33 :

« الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » .

والنفي بـ « ما » في مثل هذا الاسلوب ، لا  
يتجه الى الخبر مباشرة ، بل يتسلط على الجملة من  
( كان ) واسمها وخبرها .

\*

اما حين يكون الخبر المفرد الصريح لما ، فالباء  
تلزمه ، لم تتخلف الا في آية المجادلة :

« ما هن امهاتهم » وآية يوسف : « ما هذا  
بشيرا » .

وامام هذه الظاهرة الاسلوبية من غلبة اقتران  
خبر « ما وليس » بالباء ، لا يهون القول بانها حرف  
رائد ، اذ ان مقتضى القول بزيادتها ، امكان الاستغناء  
منها ، وهو ما لا يورث اليه البيان الاعلى .

والمسرون مع النحاة في أن هذه الباء زائدة  
للتأكيد (1) .

وفي منهجنا ، لا تؤخذ الباء في آية من الآيات ،  
بمعزل عن نظائرها في القرآن كله ، وقد نرى أن الباء

(1) الزمخشري : الكشاف ، ج 4 سورة القلم